كتاب "الوساطة بين المتنبي وخصومه" للقاضي الجرجاني

غلب على القرن الرابع الهجري طابع المناقشات النقدية، والخصومات الأدبية وقد انصب اهتمام نقاد ذلك العصر على شعر البحتري وأبي تمام والمتنبي. فإذا كان الآمدي صور لنا الخلافات القائمة حول الطائيين، وكيف انقسم النقاد في ذلك العصر إلى فريقين، فريق انتصر إلى البحتري، والفريق الآخر أنتصر إلى أبي تمام. فاشتدت الخصومة حول شعر المتنبي في ذلك العصر، فأصبح النقد في ذلك العصر مهنة كل أراد أن يدلي بدلوه في تتبع أخطاء الشعراء. فأراد الجرجاني أن يبين ما يعد خطأ وما لا يعد من الشاعر.

1. نبذة عن الكاتب

هو أبو الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني المشهور بالقاضي، المولود في مدينة جرجان سنة 290ه، من أعلام القرن الرابع الهجري، اشتهر بعلم الفقه، والتفسير، والتاريخ، والشعر، والنقد، عرف بالذكاء، الصراحة، الصدق، والعدل، تتلمذ على أبي بكر الجرجاني، أبي الحسن الأشعري، توفي 366ه.

من مؤلفاته

أ. ديوان الشعر
ب. تفسير القرآن
ت. تهذيب التاريخ

2. نبذة عن الكتاب

عنون الكاتب كتابه "بالوساطة"، والتي تعني التوسط بين طرفين، لذلك جعل القاضي نفسه، يتوسط فريقين، بعد أن أثار شعر المتنبي في القرن الرابع هجري جدلا، بين من مدحه ومن طعن في شعره، فجاء الجرجاني ووضع نفسه موضع القاضي. وحاول أن يدافع عنه ويرد على التهم التي ألصقت به ووضعه في المنزلة الأدبية التي يستحقها، خاصة لما ألف الصاحب رسالته التي أظهر فيها مساوئ المتنبي.

3. أهم القضايا في الكتاب

أ. من القضايا التي أثارها الكتاب قضية القدماء والمحدثين، رأى الجرجاني بعض علماء عصره يفضلون شعر القدماء على شعر المحدثين، مع أنهم يعلمون أن الشعر علم من علوم العرب يشترك فيه الطبع والرواية والذكاء ثم تكون الدربة مادة له، وقوة لكل واحد من أسبابه، فلا فضل على قديم ولا على محدث إلا بهذه المعايير. رغم أن أصحاب هذا العصر يرون أن شعر المحدثين أبعد عن الغرابة والبداوة وأسهل من شعر القدماء، وذلك نابع من بيئة الشاعر التي تختلف عن بيئة القدماء، فشعراء المدينة أرق في شعرهم من شعر الأرياف.
ب. قضية الشعر المطبوع والمتكلف، فرأى الجرجاني أن بعض المحدثين قد أولعوا بشعر القدماء فتكلف شعرهم وحاول تقليده الأمر الذي أخرج شعرهم من دائرة الطبع إلى التكلف، فأعطانا مثالا عن ذلك شعر أبي تمام في حين عد الشعر المطبوع هو الشعر الصادر عن موهبة صادقة، والذي مثل له بشعر البحتري.

ت. طرح الجرجاني رأيه في البديع، فرأى أن العرب لم تكن تعمد إلى البديع عمدا في قصائدها، وأن النقاد لم يفضلوا بين شاعر وآخر بما أورده في شعره من فنون البديع بل فاضلوا بين الشعراء في الجودة والحسن بشرف المعنى وصحته، وجزالة اللفظ واستقامته.

4. **الكتاب في ميزان النقد**

يعد الكتاب من أهم كتب النقد لسببين:

أ. اتصل بشاعر من كبار الشعراء -المتنبي-

ب. كما أن القاضي كان عادلا في طرح أفكاره، وموضوعيا ناقش آراءه بطريقة علمية.

في الأخير يمكن القول أن القاضي الجرجاني استطاع الدفاع عن المتنبي، بأدلة وحجج علمية مقنعة، مرجعا أن الشعراء الكبار أمثال امرئ القيس وغيره قد وقعوا في أخطاء، التي لم يسلم منها شاعر، فلماذا نحاول الانتقاص من المتنبي.